لطفي الحفّار ودوره في تأريخ سورية ١٨٨٥ ـ ١٩٦٨*

يوسف سامي فرحان حسين الدليمي

جامعة الانبار ـ كلية الآداب

تبين من المحتويات الواردة بين دفتي الرسالة أن لطفي الحفار شخص طموح منذ نعومة أظفاره ،وكان لانتمائه إلى طبقة التجار الأغنياء ،وانفراده من بين والده وإخوانه في دخول معترك العمل السياسي العامل الأساسي في بناء وتكوين ملامح شخصيته ،وظهرت قدراته السياسية منذ نشأته ،لاسيما في انتمائه للجمعيات السرية التي كان لها الفضل الأول في مقاومة الحكم العثماني ،ولا يخفى دور لطفي الحفار في السعي لإنشاء هذه الجمعيات ،منها جمعية النهضة السورية ،واشتراكها بالثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ .

وعند قيام الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ ،بالرغم من أن لطفي الحفار لم يكن من قادتها غير انه كان من ابرز المؤيدين لها ،فقد أسهم في إنشاء العديد من الجمعيات الخيرية ،لإعانة منكوبي الثورة ونجدتهم ،وشارك في الوفد المفاوض مع سلطان باشا الأطرش لتنفيذ مطالب الثوار بالوحدة والاستقلال ،فضلاً عن مشاركته في أول حكومة في زمن الثورة بقيادة الداماد احمد نامي ،غير أن السلطات الفرنسية لم يرق لها ذلك ونفته لمدة عامين.

أسهم لطفي الحفار مع رفاقه من الرعيل الأول في بناء وتأسيس حزب الكتلة الوطنية الذي يعد من ابرز أعضائه ،وقاد معركة الجلاء حتى استقلال سورية من عام ١٩٢٨ـ ١٩٤٩،حتى بعد تحول الكتلة الوطنية إلى الحزب الوطني ،تقلد لطفي الحفار الكثير من المناصب سواء وزارية أو نيابية أو مندوباً في الجامعة العربية ،كل المناصب التي تقلدها ،كانت تدلل على أنه لم يكن من النوع الذي استغل منصبه لدواعي مادية أو شخصية.

كان لطفي الحفار مؤمناً بالحلول السلمية وبوجوب التعامل مع سلطات الانتداب الفرنسي بما يؤمن لسورية مصالحها واستقلالها ،ودعا مراراً سلطات الانتداب الفرنسية لتحقيق رغبة الشعب السوري في الاستقلال والوحدة الوطنية وتحقيق المعاهدة ،وساهم أثناء توليه رئاسة الوزراء لتطبيق معاهدة ١٩٣٦ في أكثر من مناسبة ،غير أن السلطات الفرنسية كانت تقف بالضد ،لتجعل من ذلك سورية وشعبها تحت طائلة حكمها الاستبدادي.

أدى لطفي الحفار دوراً في الحفاظ على الوحدة السورية وعدم زعزعتها ،بالرغم من حجم الدسائس الفرنسية التي كانت تبثها السلطات الفرنسية في منطقة الجزيرة والعلويين وجبل الدروز لفصلها عن سورية الموحدة ،غير أن لطفي الحفار قاوم هذه السياسة مقاومة عنيفة حتى اضطر أخيراً ،إلى تقديم استقالته ،عرف عنه انه

كان ذو ميول هاشمية فقد كان من ابرز المؤيدين للعراق ،مما أدى إلى انشقاق الحزب الوطني وانسحابه منه ،لذلك بقي لطفي الحفار يؤمن بالتعامل مع العراق ،انفرد لطفي الحفار عن غيره من الرعيل الأول بالاهتمام بالجانب الاقتصادي ،وخصوصاً المشروعه الكبير في سورية وهو إيصال مياه الفيجة إلى منازل دمشق وأبنيتها العامة ،كما لا يخفى دوره في غرفة تجارة دمشق التي كانت تعده كعلم من الإعلام الاقتصاد والسياسية في دمشق.

تعامل لطفي الحفار مع الانقلابات العسكرية ،ولا يخفى دوره غداة انقلاب حسني الزعيم ،فقد وقف بوجه وحذره من تدخل الجيش في الشؤون السياسية ،وبقي لطفي الحفار معارضاً لكل الانقلابات العسكرية ،وعدها جميعاً خرقاً للدستور ،لما يعقب تلك الانقلابات من فوضى سياسية وتدهور عسكري .

وعند قيام الوحدة السورية ـ المصرية كان لطفي الحفار من اشد المؤيدين لها ،غير إنه بعد الأخطاء التي وقعت فيها حكومة الوحدة ،وانتقاده لحكومة الوحدة بشدة ،عدته السلطات الأمنية معارضاً ونفته ،حتى اضطر أخيراً إلى تقديم استقالته من مشروع مياه عين الفيجة الذي رعاه بجهوده منذ نشأته حتى بدايته ،نتيجة للعسر المادي الذي أصابه من جراء نفقاته المتزايدة في بيروت ،تعرض لطفي الحفار في حياته السياسية للكثير من المضايقات مثل النفي والإقامة الجبرية والسجن ،حتى بعد الانفصال حيث عدّ من المحرضين وتعرض للكثير من الأهانات إذ قال : " تعرضت للسب والشتم والتجريح والمضايقة أيام الوحدة وبعدها ،ما لم أتلقاه أيام الانتداب الفرنسي " ،مما يدلل على حجم الأهانة التي تعرض لها ،لاسيما بعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨،التي عدت بمثابة ناقوس الخطر الذي حمل الكثير من الرعيل الأول لمغادرة السياسة وإفساح المجال لغيرهم.

انزوى لطفي الحفار في نهاية حياته وأبتعد عن السياسة إلى العلم والعلماء ،فقد كانت شيخوخته هادئة وكلها عطاء وحيوية وبعيدة عن الذل والخنوع ،فقد اتصف بالجد والجهد الكبير في كتاباته ومقالاته ،وأصيب لطفي الحفار في نهاية حياته بوعكة صحية ألمت به وأرسلته إلى جوار ربه ،إذ توفي في ٤ شباط ١٩٦٨ ،عن عمر ناهز ثلاثة والثمانون عاماً ،ولم يكن يملك أي راتب ،وحتى راتبه التقاعدي حرم منه أيام الوحدة السورية ـ المصرية .

وخلاصة القول : إن لطفي الحفار شخصية كبيرة ،أسهمت في الكثير من الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ،من غير حدود لبناء وطنه ،وهو بحق شخصية فذة دخلت التاريخ من أوسع أبوابه.

*** رسالة ماجستير بإشراف : الأستاذ المساعد الدكتور غسان متعب عبد الكريم الهيتي**

تالفت لجنة المناقشة من السادة الاعضاء:

١ ــ أ . د . جعفر عباس حميد / جامعة بغداد ــ كلية التربية (ابن رشد) ــ رئيساً .

٢ ــ أ . م . د . احمد صالح خليفة / جامعة الانبار ــ كلية التربية للبنات ــ عضواً .

٣ــ أ . م . د . كهلان كاظم حلمي القيسي / جامعة الانبار ــ كلية الآداب ــ عضواً .

٤ــ أ .م . د . غسان متعب عبد الكريم الهيتي / جامعة الانبار ــ كلية الآداب ــ عضواً ومشرفاً.

حصلت على تقدير (جيد جيداً).